

الرباطية

لسان رابطة علماء المغرب



السنة 35 - العدد 983 الجمعة 14 محرم 1423هـ - الموافق 29 مارس 2002م

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم جمعة - الثمن : 3 دراهم

**وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يقول أمام العلماء بفاس
بمناسبة تقديم قانون التعليم العتيق :**
على الذين يصيدون في الماء العكر ويسعون إلى إصاف كل
جريمة حدثت بالإسلام ويتهمون المؤسسة الدينية في بلادنا
برعاية التطرف أن يعلموا أنهم يسيئون بذلك إلى بلادهم
وأمتهم ودينهم وحضارتهم.

الهجرة النبوية دروس وعبر

حول مصطلح جماعة المسلمين

المنطقة الصحراوية والأطمام الاستعمارية

الدعاء على الظالم

عقد القرائات الملكية يدخل البهجة على الشعب المغربي

قال تعالى في كتابه الكريم: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»
تم بعهد الله وعنايته عقد قرائات صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره
الله، يوم الجمعة 6 محرم الحرام 1423 مولفق 21 مارس 2002 على سنة الله
ورسوله، وستتم حفلات الزفات المباركة الميهور بحلول الله في مدينته
مراكش يوم 28 محرم الجاري مولفت 12 أبريل 2002 رفقت تقاليد العائلة
الملكية للرأسخة وعافتها الأصيلت للقائتة على إلتحام العرش والشعب،
هزلا للشعب الذي عمت البهجة لهذا الحدث السعيد فهب عن بكرة أبيت
لمشاركته العائلة المالكة لأفراحها والرداء لجلالته بالصحة والعافيت ولشقيقته
السعيد المولى الرشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة إنه على مايشاء
قدير وبالإجابة جدير.

كلمة

العدد

الزكاة والتكافل الاجتماعي

الزكاة فريضة إسلامية ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع، وتجب على
الانسان المالك للنصاب، وفي زكاة المال لاتجب الزكاة في نصابه إلا إذا مر عليه
عام هجري وهو مايعبر عنه في الفقه الإسلامي بقولهم: أن يحول عليه الحول.
وقد فرضت الزكاة على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة. وهي
بمعناها اللغوي والشرعي تحمل معنى النماء والطهر، ولهذا الحمل دلالة ومغزاه
فيعني التطهير للنفس من كل نقيصة سواء كانت ترجع إلى نقص في الاخلاص
أم إلى نقص في المروءة، وللتوحيد والاخلاص صلة وثيقة بأداء هذا الركن الذي
لايؤدي إلا الله ولايتغنى من ورائه الا ثواب الله. وفي الاثر: أن الصدقة تقع في يد
الرحمن قبل أن تقع في يد المسكين، قال الله تعالى في سورة التوبة/ الآية : 104:
﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾ والزكاة تحمل
معنى صدق العبد مع الله.

ومن حيث قيمتها المالية والاقتصادية فإنها تنمي المال وتزيده، وفيها
عنصر العبادة للخالق سبحانه وعنصر الحق للمجتمع قال سبحانه في سورة
المعارج/ الآية : 25.24 ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ وهي حق
ولايعبر الفقير بسبب أخذه لها، وألا يعطيها الغني إلا لمن يعلم أنه عاجز عن
العمل، والمستحقون للزكاة معروفون في الأصناف الثمانية في قوله تعالى في سورة
التوبة/ الآية : 60: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة
قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله
عليم حكيم﴾ وهي عامل هام في تفتيت الثروات كي لا يكون المال دولة بين الأغنياء
ومن هنا ينعم الفرد بالرابطة بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه، فلا عزلة ولا
أنانية ولا احتكار وهي تنشر الألفة والتعاون، فالمحتاج يدعو للغني أن يزيد الله
ماله ليكثر الانتفاع من ورائه، والغني يزداد نشاطه ليسعد المجتمع به، وقد
شرعت الزكاة لتكون قوة دافعة لأصحاب الأموال ليسارعوا باستثمارها. وكلما
أحسن المؤمن بأن تلك الفريضة تدفعه لاستثمار ماله وفي ذلك مضاعفة دخله،
وبالتالي يصبح قادرا على إعانة المحتاجين مدركا أن خير الناس أنفعهم للناس،
وأن اليد العليا خير من اليد السفلى من غير غرور ولا استكبار وإنما هو التعاون
البناء في المجتمع.

● فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس . الأمين العام بالنيابة

ودعوة موسى لفرعون، وغيرهم من دعاة الحق والخير".

(كتاب الأمة رقم: 2 "الصحة الإسلامية" للشيخ القرضاوي، ص: 4746)

ما أوجنا في هذه الظروف، إلى العودة إلى ينباع الإسلام الصافية، لتغترف منها، ونستقي من مرجعيتها الرقابة ما نعالج به أمراضنا المستشرية، فقد كثر الحديث حول من هو المسلم؟ ومن هو الكافر؟ فهذا يكفر الآخر، وذلك يتهم الآخر بالتشدد والتشديد، والتطرف والانعزالية والخشونة والعنف في أسلوب التعامل والدعوة إلى الله، وثالث ينعت بالضلال والتساهل والتفريط...

فنحن، جميعاً، متمسكون، ولله الحمد، بديننا الحنيف، وبما جاء في شريعته من تعاليم، نعص عليها بالنواجز، ونريد أن يكون سكان هذا الكوكب مسلمين كافة، لأن الإسلام جاء للبشرية جمعاء، وعلى كل مسلم، وخاصة الدعوة، أن يدعو إلى دينه، وإبراز فضائله والتي هي أحسن، بعيداً عن الغلو والتعسير. فنحن نؤمن، حق الإيمان، بقوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" ومن يتبع غير الإسلام ديناً، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين".

ولكن ليس باستطاعتنا نشر إسلامنا هذا إلا بالإقناع والحسن، ولا يمكننا أن نركب الخيل، ونحمل السيوف وأدوات الحرب البدائية التي حملها الفاتحون والقواد المسلمون الأول لتغزو إسبانيا أو فرنسا أو إسرائيل أو غيرها من الأقطار التي تدين باليهودية أو النصرانية أو ديانات وضعية، لندعوها إلى الدخول في الإسلام، أو دفع الجزية... هذا أسلوب لم يعد ممكناً في عصرنا هذا، فحتى لو غيرنا الأسلوب القديم بأسلوب حديث يتعلق بركوب الطائرات واستعمال الصواريخ المتطورة، والأسلحة الحربية الأكثر تطوراً، فإن أسلوبنا هذا لا يوسع رقعة الإسلام، بقدر ما يجلب إليه تهمة الإرهاب والعنف والدموية... الأمر الذي يشوه صورة الإسلام المشرقة، ويفتح الباب لقوة الطواغوت بإطلاق النعوت القديمة على الإسلام.

فهل كان الله في حاجة ليأمر موسى وأخاه، عليهما السلام، بقوله الكريم: "أذهباً إلى فرعون إنه طغى، فقلوا له قولا لينا، لعله يتذكر أو يخشى" سورة طه/الآيات: 43، 42. ثم لم يقل لهما الحق سبحانه وتعالى: "أذهباً إلى قصره، واستعملا معه كل العنف، لأنه عبد كافر، يستحق أن تهدموا قصوره، وتقتلوا من فيها، دون تمييز بين طفل وامرأة، وشيخ، ورجل دين، حتى ولو كانوا أبرياء.

فليس هناك سلاح لنشر الإسلام أمضى من مبدأ القرآن "ومن أحسن قولاً مما دعا إلى الله، وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين" سورة فصلت/الآية: 33. وقل، هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله، وما أنا من المشركين" سورة يوسف/الآية: 108.

إن خصوصيتنا لليهود والنصارى ليست دينية، لأن القرآن الكريم حض ويحض على مصافاتهم ومصادقتهم، لأن شريعته إنسانية، قبل أن تكون قومية، وأثنى عليهم، وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" سورة العنكبوت/الآية: 46.

وإنما كان يعامله كفرد من أفراد المجتمع الإسلامي. قد يقول قائل: إن هذا تقصير من الخليفة، أو تساهل أو مهادنة، ولكن الخليفة، بحكم مركزه، يسوس المسلم والمسيحي واليهودي، وحين يصدر منه موقف معاد لأصحاب هذه الديانات فإنه يعتبر رسمياً، قد يترتب عنه انفعال وتصد وشعور بالدونية ينعكس على شرائح غير مسلمة يحكمها، وبالتالي يكون غير متبع لحنيفية الإسلام وسماحته، فصدر الإسلام رحب، وليس بينه وبين الديانات السماوية الأخرى عداوة، ماداموا يوحدون، ويقولون ربي الله.

فالدعوة إلى الإسلام كانت، وما زالت، تركز على اللين والرقرة، والدمائة وخفض الجناح، والحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن" ولنا في رسول الله (ص) الإسوة الحسنة، والقوة المثلى "لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم"

إلى الحق. "إننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا، للذين هادوا، والربانيون والأحبار، بما استحفظوا من كتاب الله، وكانوا عليه شهداء" في حين، أن أحبار اليهود، وقسيسي النصارى، قد عمدوا إلى محو الآيات المبشرة ببعثة نبي الأدمية، سيدنا محمد، عليه السلام، من التوراة والإنجيل الصحيحين كما سبق أن ذكرت...

فإذا كان رجال الدين اليهود والنصارى، يفهمون قول الله تعالى في القرآن الكريم "ومهيمننا عليه" فهما خاطئان، فإنها لاتعني، عندنا نحن المسلمين، الاكراه والإرغام وإنما الإقناع والإقناع، ثم الرقابة على هذه القناعة بالدين الإسلامي، رقابة شرعية، تستهدف الرقي بالإنسان المسلم روحياً، وفكرياً، ومادياً كذلك. والدليل على ذلك، أن الله سبحانه وتعالى قد أمر رسول الإسلام بمخاطبة أهل الكتاب، مخاطبة توحيد لله الذي يؤمنون به، ويعبدونه وحده دون الإشراف به "قل يا أهل

ورغم قتامة العلاقة بين مفكري الإسلام ومفكري الديانات السماوية المعاصرة، فإن هناك من مفكري المسيحية من أنصفوا الإسلام بعض الإنصاف، طوعاً أو كرهاً، مشيدين بتسامحه، منوهين بتعاليمه السمحة.

فهذا السير توماس أرتولد، يقول في كتاب: "الدعوة إلى الإسلام"... "لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم، منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق يقول المؤلف، أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إما اعتنقته عن اختيار وإرادة وحرية، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا، بين جماعات مسلمة، لشاهد على هذا التسامح انتهى كلامه، وقال البطريك وعيشوباية، الذي تولى منصبه من 647 إلى 657هـ: "إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم، يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا أعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قديسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديارنا" انتهى كلامه.

ومن العلماء الغربيين المسيحيين من درس الإسلام عن علم وعقل وفطرة وجدان، فهذه الله إلى الإسلام، وهم كثرون ذكر منهم المفكر المسلم الفرنسي "روجي كارودي" الذي يقول في كتابه: "ماذا أسلمت؟" "...الإسلام دين التوحيد، ففي حين أن عالمنا... تبدو فيه الأحداث حصيلة القوى العمياء المتصارعة، يعلمنا القرآن الكريم النظر إلى الكون والبشر، على أنهما كل واحد، ويعلمنا الله تعالى أن نرى في كل شيء، وفي كل حدث، آية من آيات الله، رمزاً لحقيقة أسمى، هي حقيقة النظام الواحد للطبيعة والمجتمع ولأنفسنا. فكل شيء في العالم خاضع لإرادة الله..." انتهى كلامه من ص: 106.

أما "موريس بوكاي" فقد ألف كتاباً نفيساً بعنوان: "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" قارن فيه بين الديانات الثلاث من حيث العديد من نقاط الالتقاء، وفيه يفند أباطيل بعض المستشرقين المتحاملين على الإسلام، الزاعمين أنه مستنسخ عن النصرانية أو اليهودية، مبرزاً، كما يبدو من دراسته أن جميع الرسل والرسالات لبنة في البناء الإلهي العام، للعقيدة الشاملة. وقد عملت لجنة ترجمة هذا الكتاب على تنبيه القارئ إلى كل ما قد يتعارض مع مفاهيمنا الدينية الإسلامية، مثل قولهم "هذا الكلام يعبر عن المفهوم الديني لدى المسيحية، فقط، وليس له أي وجود في مفاهيمنا الدينية الإسلامية" (ص: 29).

وذلك مثل ماورد في الإنجيل (الآيات من: 31، 24)، وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا، كمثالنا... إلخ) يثبت المترجم، ونحن معه، هذا يخالف ماورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" ويخالف ما عليه جمهور المسلمين قديماً وحديثاً. (ص: 37).

فالإسلام يعترف بكل الديانات السماوية التي سبقتها، ويمجدها، ويمجد رسلها وأنبياءها، دون عقدة، ولا حساسية، ولا حرب باردة، ويصف الديانتين اللتين نزلتا قبله بأنهما نور يهدي

الحنيفية السماحية

الحلقة الثالثة

■ إعداد الاستاذ الجاحظ مسعود الصغير

"فيما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك". وفي الحديث الصحيح: "إن الله يحب الرفق في الأمر كله".

وفي الأثر: "من أمر بمعروف، فليكن أمره بمعروف".

وقال (ص): "مادخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا دخل العنف في شيء إلا شانه، ولا شيء يشينه العنف إذا دخله، مثل الدعوة إلى الله، فإنها تحاول أن تدخل إلى أعماق الإنسان، لتجعل منه شخصاً رانياً في مفاهيمه ومشاعره وسلوكه، وتبدل كيانه كله، وتنشئ منه خلقاً آخر، فكراً وشعوراً وإرادة، كما أنها تهز كيانه الجماعة هزاً، لتغير عقائدها المتوارثة، وتقاليدها الراسخة، وأخلاقها المتعارفة، وأنظمتها السائدة..."

وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا بالحكمة وحسن التآتي للأمر، والمعرفة بطبيعة الإنسان وعناده، وجموده على القديم، وأنه أكثر شيء جدلاً. فلا بد من الترفق في الدخول إلى عقله، والتسلل إلى قلبه، حتى نلين من شدته، ونكفكف من جموده... وهذا ما قصه علينا القرآن من مسالك الأنبياء والدعاة إلى الله، من المؤمنين الصادقين، كما نرى في دعوة إبراهيم لأبيه وقومه، ودعوة شعيب لقومه،

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله".

وقد جسد الرسول، عليه السلام، سماحة الإسلام في خلقه العظيم، فلم يكن متسامحاً مع من اعتنق الإسلام، وفظاً مع من لا يعتنقه، أو يرفض اعتناقه، أو هو في طريق اعتناقه. لقد قصده نصارى نجران والحبشة، فاستضافهم في مسجده مدة ثلاثة أشهر، وكان يحمل إليهم الطعام كل يوم، ولم يكن يسألهم، هل هم على طهارة وهم يقيمون في المسجد؟ وهل توضحوا أم لا؟ وهل معهم خمور أم لا؟ ولما حانت منهم مواعيد القياس خشى (ص) أن يتعجب منهم الناس، فخصص لهم مكاناً في مسجده، أقاموا فيه شعائهم.

فقد استمرت فضيلة تسامح الإسلام كأحدى دعائمه، يجسدها خلفاء الأمة الإسلامية وأمرؤها، وتذكر كتب تاريخ الأدب العربي أن الشاعر الأموي الأخطل، النصراني الديانة كان يدخل على الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في حالة سكر، والصلب يتدلى في جيده (عنقه) ولحيته تقطر خمراً، ومع ذلك، لم يكن الخليفة يرفض استقباله عند الحاجة، ولا يلجأ إلى تأنيبه، أو رده أو زجره،

الوثاق

في الدعاء على الظالم

كل حال كما مر.

وان كان الدعاء بالثاني وهو المؤلم الدينيوي ايضا لكنه يرجع اولا إلى غير الظالم ممن هو عزيز لذيد وثانيا يعود اليه بما يلحقه من الأسف عليه فلا شك أن كلام القرافي في أول القسم الحادي عشر من الفرق الثالث والسبعين والمائتين يقتضي بظاهرة حرمة ذلك لكن آخر كلامه في القسم المذكور حيث تكلم على كل مسألة الدعاء بالكفر ربما يقتضي أن الحرمة إنما هي حيث كان ضرر الغير مقصودا للداعي بالذات لا بالغير، وأما إن كان مقصوده بالذات إنما هو ضرر الظالم وضرر ذلك الغير انما وقع تابعا لمقصوده لا أنه مقصوده، فهذا ليس بحرام فيقيد أول كلامه بالحيثية المذكورة ليوافق آخر كلامه والله اعلم.

وإن كان الدعاء بالثالث وهو المؤلم الدينيي يقتضي للعقوبة الأخروية من معصية أو كفر والعياذ بالله تعالى، فيقتضي كلام القرافي أثناء القسم المذكور حرمة ذلك أيضا قائلا وحيث قلنا بجواز الدعاء على الظالم فلا تدع عليه بملازمة معصية من معاصي الله تعالى ولا بالكفر فإن إرادة المعصية وإرادة الكفر كفر، بل تدعوا عليه بإنكاد الدنيا هو آخر كلامه يقتضي قصر الحرمة في هذا أيضا على ما إذا كانت المصيبة أو الكفر مقصود الداعي بالذات بمعنى أن مراده أن يعصى الله سبحانه أو يكفر به ليس إلا، وصدور ذلك من خصوص المدعو عليه بطريق العرض، وأما إذا كان الأمر بالعكس وهو أن يكون مقصوده بالذات إنما هو ضرر المدعو عليه والمعصية أو الكفر تابعا لمقصوده بالعرض فليس هذا بممنوع ولو بالدعاء بالكفر فضلا عن أن يكون كفرا، وهذا التفصيل الذي دل عليه آخر كلامه هو المعتمد وعليه الموعول كما يدل على ذلك آية: «إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، الآية. وحديث وددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحیی الحديث. وموافقته ما عند غيره من الأئمة كالحليسي وغيره، فيقيد أيضا إطلاقه الأول بهذا، وإذا أحطت علما بما سبق علمت أنه لا إشكال في دعاء سيدنا سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه على من افتري عليه من أهل الكوفة، وهو أبو سعدة بقوله، وعرضه للفتن، قال الراوي له فرأيت شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه، وهو يتعريض للنساء يغمزهن في الطرقات، أو كما قال.

ولما تقدم من جواز الدعاء بمثل ذلك بقيد الحيثية المذكورة حتى في حق العامة لاسيما وهو من خاصة الخاصة وقد تقدم بيان حالهم في ذلك فلا تغفل عما هنالك والله تعالى أعلم هـ.

ملخصا من جوابين للعلامة المسناوي رحمه الله تعالى رضي الله عنه ونفعنا به أمين لخصه منها عبد ربه وأسير كسبه أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري الحسين كان الله له أمين ولجميع المسلمين ..



الأستاذ: إدريس كرم

جاء في الجامع للقرافي من ترتيب الفروق واختصارها لأبي عبد الله البقوري. ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1996.

اعلم أن الدعاء الذي هو الطلب من الله تعالى له حكم باعتبار ذاته من حيث هو طلب من الله تعالى وهو السند لخضوعه لربه وإظهار ذله وإفقاره إليه سبحانه.

وفي هذه الرسالة يتعرض المصنف إلى الجائز وغير الجائز من الدعاء على الظالم اعتمادا على ما صنف في الموضوع من قبل العلماء والفقهاء.

الغزالي في باب الرضى من الإحياء أنه لما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل ابن عبد الله إخوانه فقالوا له لو سألت الله تعالى دفعهن فسكت ثم قال: لله عباد في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلته، ولكن لا يفعلوا. قيل له ولم، قال: لأنهم لا يحبون إلا ما يحب ربهم هـ.

ثم الدعاء بالمؤلم له ثلاثة أحوال: فتارة يكون للمؤلم دينوي يخص الظالم وتارة مؤلم دينوي فيمن يعز عليه ويسح ضرره اليه وتارة مؤلم ديني، يترتب عليه عقاب أخروي، فإن كان دعاؤه لأول فلا إشكال في جوازه، غير أن القرافي شرط في الجواز أن لا تكون المؤلم المدعو بها أعظم من الجناية الصادرة منه، فإن زادت حرم الدعاء، قال لأنك جان عليه بالمقدار الزائد والله تعالى يقول: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه، الآية.

والقرطبي صرح بجواز الدعاء بأكثر أخذ مما في أخذه منه بحيث فصل ما للقرافي من اشتراط عدم الزيادة على الظالم إنما يجوز الدعاء بأن يصاب بمثل ما أصاب به الداعي أو بأن يقام عليه حدها إن كان فيها حد كقذف وسرقة ونحوهما أو تعزيرها الواجب فيها شرعا إن لم يكن فيها حد أو بأن يأخذ الله تعالى منه الحق للمظلوم مع تفويض أمر ذلك إلى الله تعالى العالم بما يستحقه وعدم التعرض لتعيينه لربما يتحقق الداعي زيادته على الظلامه أو يشك في ذلك، لكن إنما يحتاج لهذا التحرز فوق مجاوزة الحد في الدعاء في حق من لم يعم ظلمه، وتكثر جرائمه وإلا فأعظم مصائبه الدينوية التي الكلام فيها هلاكه وقطع دابره وهو قليل في جنب كثرة مفاسده، فلا يتقيد فيه جواز الدعاء بحد من الكلام ولو على ما للقرافي بل من هذا حاله يرجع الدعاء عليه على تركه لمن صح قصده وخلصت نيته بأن كان الحامل له على ذلك الغيرة على الدين والشفقة على المسلمين، لاحظ نقصه وإن كان الدعاء بهديته أو بكفائته شره بما شاء الله أرجح على

بني إسرائيل، فقال له لا أجد لك دواء إلا أن تدعو عليك المرأة التي سرقت دجاجتها، فإن فعلت ذلك شفيت. فأرسل إليها من قال لها أين دجاجتك؟ فقالت سرقت، قالوا لها لقد أذاك من سرقتها فما زالوا بها حتى أثاروا الغضب منها، فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه بانتصارها لنفسها هـ.

وهذا كله في حق أهل المعاملة من الخاصة المتضلعين بالعلم، العارفين بشروط هذه الحالة الثالثة، أما العامة بالعلم العارفين بشروط هذه الحالة بل الواجب عليهم اجتنابها وإلا كانوا ظالمين بتعاطيهم بأمر ليسوا به عالمين.

قال تعالى: «ولا تقف ما ليس لك به علم، الآية.

وأما أهل المشاهدة من النبيين والصديقين فلهم حكم آخر يخصهم، لأن مرادهم تابع لمراد الله تعالى، لا يريدون إلا ما أراد ولا يعترضون شيئا مما يجري به القدر على العباد، متحققين بمضمون دع الخلق وما دفعوا إليه، فمراد الحق ما هم عليه، فهو لا دعوا فلا رتسام القدر في أرواحهم التي هي مظاهر له، وأسبقية ذلك إليها قبل بروزه للوجود فهم في دعائهم تابعون لمراد الحق أيضا كما كانوا في سكونهم، ولا يتقيدون حينئذ في دعائهم بشيء بل هو بحسب ما سبق إلى قلوبهم وأشرق فيها من نور الحق وارتسم فيها من سابق قدره وناقذ مشيئته فربما دعوا على حق عليه القول بمصيبة دينوية وربما دعوا بمصيبة دينية وربما كانت في ظاهر الحال زائدة على الجناية وإن كانت في نفس الأمر غير زائدة.

وهم في جميع ذلك بالله لا بأنفسهم متفعلون لا فاعلون كما دل عليه حديث كنت سمعته.. إلخ. وكما أشار إليه سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بقوله:

إني كالألوان وهو محركي أنا لقم والانتدار أصابعي فإن كنت في حكم الشريعة عاصيا فإنني في حكم الحقيقة طالع فتصرفهم في النفع والضرر كتصرف الملائكة بالله سواء لاستوائهم في شهودهم إنهم بالله قائمون وعن كسبهم مسكوبون، وقد حكى

الحمد له وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله:

الدعاء على الظالم له أحوال ثلاثة.

الحالة الأولى:

أن يكون بهديته وإقلاعه عن ظلمه، وهو شأن الذين إذا ظلموا رحموا، وما أحسن حال من يرحم به ظالمه كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه، قال القرافي، وقد أحسن هذا الداعي إلى نفسه بمثوبة العفو ومكارم الأخلاق، وإلى الجاني بالتسبب إلى إصلاح صفاته، وإلى الناس كافة بالتسبب إلى كفايتهم شره، فهذه ثلاثة أنواع من الإحسان لا ينبغي أن تنبغي أن تنبغي اللبيب هـ.

ومن أمثلة هذا القسم، دعاؤه (عليه السلام) يوم أحد لقريش بعد أن صنعوا من شج وجهه الشريف، وكسر رباعيته بقوله: اللهم اهد قومي، واغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

الحالة الثانية:

أن يكون بكفاية شره والإراحة منه، بما شاء الله تعالى من قدرته من هديته أو عزله أو هلاكه أو غير ذلك مما شاء، وهذه دون الأولى، إذ ليس فيها دعاء له ولا عليه، بل الدعاء فيها لغيره بكفاية آداه وشره.

الحالة الثالثة:

أن يكون بإصابته بما يسوءه مما يكسر سوره ويزيل شوكته، ويقطع جراته، وهذه أدون مما قبلها، لكونه دعاء عليه، وطلباً للانتقام منه، وهي محل التوقف وتردد النظر، أما الحاليتان الأولىان، فلا إشكال في جوازهما وأحسنهما للخاصة والعامة، وإن كانت الأولى أحسن من الثانية كما مر ثم هذه الحالة الثالثة جائزة في الجملة كما قال الامام مالك رضي الله عنه وجماعة من العلماء، لقوله تعالى: «ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل»، وإن كان الصبر والعفو أحسن لقوله تعالى: «ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم الأمور»، أي معزومها ومطلوبها عند الله عز وجل، وإنما كان الصبر أحسن لأنه دليل رضى العبد بقضاء ربه وتوكله عليه ورجوعه إليه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وذلك كفيل بنصرة الله له التي هي أولى من انتصاره لنفسه بمقتضى وعده الصادق في قوله: «وكان حقنا علينا نصر المؤمنين».

قال العارف ابن عطاء الله رضي الله عنه في اللطائف، وقد ذكر أن امرأة كانت لها دجاجة ليس عندها غيرها، وكانت تتقوت ببيضها، فجاء سارق فسرقها فلم تدع عليه، وأرجعت الأمر إلى الله تعالى، فلما ذبح السارق الدجاجة وتنف ريشها نبت جميعه في وجهه، فسعى في إزالة ذلك فلم يستطع فسأل الناس فلم يقدر أحد على إزالة ما نزل به إلى أن أتى حبر من أخبار

الحديث الثامن والعشرون: البر والإثم

نص الحديث:

عن النّوأس بن سمعان - رضي الله عنه - عن النبي (ص) قال: " البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكهرت أن يطلع عليه الناس " رواه مسلم.

وعن وابصة بن معبد - رضي الله عنه - قال: أتيت رسول الله (ص) فقال: " جئت تسأل عن البر؟ " قلت: نعم. فقال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأنت إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك ".
حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين: أحمد بن حنبل، والدارمي بإسناد حسن.

الحديث

راوي الحديث:

وجعلهما ضدين.

مفردات الحديث:

"البر": بكسر الباء، اسم جامع للخير وكل فعل مرضي.
"حسن الخلق": التخلق بالأخلاق الشريفة.
"والإثم": الذنب بسائر أنواعه.
"ما حاك في النفس": ما لم ينشرح له الصدر ولم يطمئن إليه القلب.

سبب ورود الحديث:

جاء في مسند الإمام أحمد (مسند الشاميين رقم 17315) عن وابصة بن معبد قال: أتيت رسول الله (ﷺ) وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه، وإذا عنده جمع فذهبت أتخطي الناس فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله (ﷺ)، إليك يا وابصة، فقلت: أنا وابصة دعوني أدنو منه فإنه من أحب الناس إلي أن أدنو منه. فقال لي: ادن يا وابصة، ادن يا وابصة. فدنوت منه حتى مست ركبتي ركبته فقال: يا وابصة أخبرك ما جئت تسألني عنه أو تسألني، فقلت: يا رسول الله فأخبرني، قال: جئت تسألني عن البر والإثم قلت: نعم. فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول: يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأنت إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس".

كما وردت روايات أخرى مختلفة في هذا الشأن، تدل على موضوع الحلال والحرام، أو البر والإثم، كان يشغل بال الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

المعنى العام:

أ. معنى البر: فسر النبي (ﷺ) البر في حديث النّوأس بن سمعان، رضي الله عنه، بحسن الخلق، وفسره في حديث وابصة بما اطمأنت إليه النفس والقلب، وتعليل هذا الاختلاف الوارد في تفسير البر: أنه يطلق ويراد منه أحد اعتبارين معينين:
أ. أن يراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان إليهم، وربما خص بالإحسان إلى الوالدين، فيقال بر

راوي الحديث الأول: هو النّوأس بن خالد الكلبي، وهو من أهل الصفة، أقام خارج المدينة المنورة، ولم يهاجر إليها، بل كان يفد إليها للسؤال في أمور دينه فحسب، ولعله قصد عدم الهجرة إلى المدينة، حتى يتأتى له سؤال النبي (ﷺ) في كل مرة يفد فيها عليه ولا يتحرج من ذلك، وما هو رضي الله عنه يقول كما جاء في صحيح مسلم: "أقيمت مع رسول الله (ص) بالمدينة سنة، ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة كان أحداً إذا هاجر لم يسأل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن شيء، فسألته عن البر والإثم". وصلت مروياته إلى سبعة عشر حديثاً.

والثاني: هو وابصة بن معبد، رضي الله تعالى عنه، من قبيلة بني أسد، وكان إسلامه سنة تسع من الهجرة مع عشرة من قومه، قدموا على رسول الله (ﷺ)، ثم عاد وابصة إلى بلاده، وكان كريماً معطاءً، وعاش تسعين سنة.

تخريج الحديث:

حديث النّوأس بن سمعان رواه مسلم في كتاب البر والصلة (باب تفسير البر والإثم) (14/2553)، والترمذي (515/4) كتاب الزهد: باب ما جاء في البر والإثم (2389)، والدارمي (322/2) وأحمد في المسند (182/4) وابن حبان في صحيحه (123/2) والطبراني في الكبير (219/22)، وأبو نعيم في الحلية (30/2) من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً بلفظ "البر ما سكنت إليه النفس واطمأنت إليه القلب".
وحديث وابصة بن معبد رواه الإمام أحمد في المسند (228/4) والدارمي (246/2).

أهمية الحديث:

قال ابن حجر الهيتمي: هذا الحديث من جوامع كلمه (ص)، بل من أوجزها، إذ البر كلمة جامعة لجميع أعمال الخير وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح كبيرها وصغيرها، ولهذا السبب قابل النبي (ص) بينهما

4. علامة الإثم: للإثم علامتان: علامة داخلية، وهي ما يتركه في النفس من اضطراب وقلق ونفور وكراهة، لعدم طمأنينتها إليه، قال (ﷺ): "الإثم ما حاك في النفس".

وعلمة خارجية، وهي كراهية اطلاع وجوه الناس وأماثلهم الذين يستحي منهم، بشرط أن تكون هذه الكراهية دينية، لا الكراهية العادية.

5. الفتوى لاتزيل الشبهة: يجب على المسلم أن يترك الفتوى إذا كانت بخلاف ما حاك في نفسه وتردد في صدره، لأن الفتوى غير التقوى والورع، ولأن المفتي ينظر للظاهر، والإنسان يعلم من نفسه ما لا يعلم المفتي، أو أن المستنكر كان ممن شرح الله صدره وأفتاه غيره بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي، فإن الفتوى لاتزيل الشبهة.

أما إذا كانت الفتوى مدعومة بالدليل الشرعي، فالواجب على المسلم أن يأخذ بالفتوى وأن يلتزمها، وإن لم ينشرح صدره لها، ومثال ذلك الرخصة الشرعية، مثل: الفطر في السفر والمرض، وقصر الصلاة في السفر...

كما قال الله تعالى: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" سورة الأحزاب/ الآية: 36، وينبغي أن يتلقى ذلك بانشرح الصدر والرضا والتسليم.

وهنا وجب التنبيه إلى أمر ذي بال، وهو ما يفعله بعض المغرضين من استغلال العلماء وتصيد الفتاوى التي تبيح لهم معصيتهم، فنقول لهم، لا عذر لكم عند الله، بل من فعل هذا فقد ضاعف المعصية والعياذ بالله، وفعل فعل أصحاب السبت، وهذا ما يفعله عدد من الذين يزعمون أنهم مسلمون، فيحللون ما حرم الله بلي أعناق النصوص واستغفال العلماء أحياء وأموات، وهم يعلمون علم اليقين أنهم كاذبون مغرضون.

6. معجزة الرسول (ﷺ): في حديث وابصة معجزة كبيرة لرسول الله (ﷺ) حيث أخبره بما في نفسه قبل أن يتكلم به، فقال له: "جئت تسأل عن البر؟".

7. إنزال الناس منازلهم: لقد أحال النبي (ﷺ) وابصة على إدراكه القلبي، وعلم أنه يدرك ذلك من نفسه، إذ



إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

الوالدين، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً.

ب. أن يراد بالبر فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، قال الله تعالى: ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون سورة البقرة/ الآية: 177.

2. معرفة الحق من الفطرة: إن قول النبي (ص): "البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأنت إليه القلب" دليل على أن الله سبحانه وتعالى فطر عباده وخلقه مجبولين على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله، وركز في الطباع محبته، قال (ص): "كل مولود يولد على الفطرة".

3. معنى الإثم: الإثم هو كل عمل ظاهر أو باطن تنفر منه النفس، ويتحرج من فيه بقية باقية من الحياة أن يفعله أمام الناس، وإننا لنرى أن عدداً من الناس إذا أرادوا فعل شراً استتروا إلا عديمي الحياة، ولذا نجد في الحديث أنه إذا عمت الفاحشة نزل العقاب، وهذا يعني أنه إذا غاب الوازع الأخلاقي والرقيب الذاتي، فاستوت السيئة بالحسنة والمعصية بالطاعة، ولم يعد المرء يتحرج من فعل المعصية جهاراً نهاراً، فلا ينكر عليه من غيره، بل تصبح الأمور عادية كما يقال، فحينذاك يستحق القوم العقوبة، نسأل الله أن لا يأخذنا بما فعل السفهاء منا.

لا يدرك إلا من كان متين الفهم قوي الذكاء نير القلب، أما غليظ الطبع ضعيف الإدراك فلا يجاب بذلك، لأنه لا يتحصل منه على شيء، وإنما يجاب بالتفصيل عما يحتاج إليه من الأوامر والنواهي الشرعية.

8. أحسن الأخلاق: إن أخلاق النبي المصطفى، صلوات ربي وسلامه عليه، هي أحسن الأخلاق البشرية وأشرفها وأجملها، لأنها تمثل أخلاق الشريعة، وتجسد التأدب بأداب الله تعالى التي أدب بها عباده في كتابه العزيز ولذلك مدح الله، عز وجل، رسوله الكريم في محكم التنزيل بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم/ الآية: 4، وقالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه (ﷺ): "كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن يتأدب بأدابه، فيعمل بأوامره، ويجتنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقاً كالجبلة والطبيعة لا يفارقه.

أفكار الحديث:

- ♦ البر: التخلق بالأخلاق الحسنة.
- ♦ الإثم: ما تركه الاطلاع عليه.
- ♦ من أراد الإقدام على عمل فليراجع نفسه.
- ♦ اجتناب العمل الذي تضطرب النفس منه.
- ♦ التزام العمل الذي يطمئن إليه القلب.
- ♦ القلب المؤمن يطمئن للحلال.
- ♦ القلب المؤمن يضطرب للحرام.
- ♦ الفتوى لاتزيل الشبهة.

فوائد الحديث:

- يرشدنا الحديث إلى ما يلي:
- ♦ التخلق بمكارم الأخلاق، لأن حسن الخلق من أعظم خصال البر.
- ♦ قيمة القلب في الإسلام واستفتاؤه قبل العمل.
- ♦ أن الدين وازع ومراقب داخلي، بخلاف القوانين الوضعية، فإن الوازع فيها خارجي.
- ♦ إن الدين يمنع من اقتراف الإثم، لأنه يجعل النفس رقيبة على كل إنسان مع ربه.
- والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

المحبرة

■ إعداد الاستاذ: عبد الله الطيبي اكديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد، الذي أيد رسوله والمؤمنين بالنصر المبين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على هدايته، واقتفى أثره، واستن بسنته، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أيها المسلمون:

لقد قال الله تبارك وتعالى: "وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا" سورة الإسراء/ الآية: 76.

تمر علينا هذه الأيام ونحن في شهر الله المحرم، نفتتح عاما هجريا جديدا، فتذكرنا بحدث من أم أحداث السيرة المطهرة، سيرة رسول الله (ﷺ) وأصحابه التي ينبغي أن نقف على وقائعها في كل وقت وأن نتقدي من خلالها برسولنا (ﷺ) في إيمانه وصبره وفي جهاده وأخلاقه وفي ثباته وتضحيته وفي صفاته كلها (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) سورة الأحزاب/ الآية: 21.

أيها الأخوة في الله:

لقد مكث رسول الله (ﷺ) بعد بعثته بمكة ثلاثة عشر عاما يوجه الناس إلى عبادة الله لينقلهم من ظلمات الشرك والجاهلية والخرافة والدجل إلى نور الإيمان وسعادة الدنيا والآخرة، ولكن المشركين في مكة وقفوا في وجه هذه الدعوة المباركة وما تركوا من وسيلة للقضاء عليها إلا واتبعوها، من سخرية وغمز وإيذاء واضطهاد له ولأصحابه رضوان الله عليهم.

ولكن هذه الطائفة المؤمنة صبرت وضحت وثبتت على هذا الدين حينما اقتنعوا بأن الجنة جزاء الصابرين وعندما آمنوا إيماننا خالطت بشاشته قلوبهم.

واشد أذى المشركين، والرسول (ﷺ) مستمر في البحث عن كل وسيلة مشروعة لينصر بها هذا الدين وينشره في الأرض، وكان ينتهز فرصة الحج ليعرض الإسلام على القبائل ويسألها النصرة والمعاونة، وفي أحد المواسم أراد الله عز وجل لنبيه (ﷺ) أن يقابل نفرا من الخزرج من المدينة فاستمعوا إليه وآمنوا به، وفي العام القادم بايعته مجموعة أخرى منهم على نصرته وحمانيته، وبذلك تكونت للإسلام قاعدة في المدينة.

وجاء الإذن والأمر من الله للمؤمنين بالهجرة إلى المدينة، فصار المسلمون يخرجون تباعا من مكة ويلتحقون بإخوانهم الأنصار في المدينة.

وأحست قريش بخطر هذه الهجرة وخافوا أن يخرج رسول الله (ﷺ) فاجتمعوا وتشاوروا واتفقوا على قتله: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) سورة الأنفال/ الآية: 30.

ونجى الله ورسوله (ﷺ) حيث خرج هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى غار ثور بأسفل مكة، وبقي به ثلاث ليال تعمية على

المشركين وعملا بالأسباب، والعمل لا ينافي التوكل على الله عز وجل،

وانطلق المشركون في البحث عنه ووصلوا بالقرب من الغار ويسمع أبو بكر رضي الله عنه وقع أقدامهم فيضطرب خوفا على رسول الله (ص) لا خوفا على نفسه ويقول: يارسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا، لكن الرسول (ﷺ) يبقى ثابتا متصلا بربه عز وجل وثقا بنصره ومعيته ويقول عز وجل: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فأنزل الله سكينة عليه وأيده بجند لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزير حكيم) سورة التوبة/ الآية: 40.

ووصل الرسول إلى المدينة واستقبلته بشوق وفرح، وهناك اجتمع المهاجرون والأنصار وتكون بهم المجتمع الإسلامي الأول الذي رفع راية الإسلام فيما بعد وأخضع تحتها ملوك الفرس والروم.

أيها المسلمون:

لقد اتضحت في هذه الهجرة معالم الإيمان الصادق حينما ثبتت في النفوس، فلقد ضحى المهاجرون رضوان الله عليهم بأموالهم وتجارتهم ومسكنهم في مكة وتركوها في سبيل أن يستعلي إيمانهم وأن يتمكنوا من تطبيق منهج ربه عز وجل كما صبروا من قبل على الإيذاء والاضطهاد والسخرية في مكة في سبيل أن يثبتوا على الحق الذي آمنوا به واقتنعوا به (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد) سورة البقرة/ الآية: 207.

أما الأنصار في المدينة فقد قدموا أكبر المثل في الإيثار والأخوة والمحبة في الله عز وجل، فقد استقبلوا إخوانهم المهاجرين وأووهم دون سابق معرفة سوى الاجتماع على المحبة والأخوة والإيمان، وفتحوا لهم قلوبهم قبل بيوتهم، وكان الواحد منهم يأخذ أخاه من المهاجرين فيعرض عليه أن يقتسم معه ومسكنه وزاده وتجارتهم، (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) سورة الحشر/ الآية: 9.

فلنتق الله يا عباد الله في سنة وسيرة رسول الله، لنستخرج من هذه الحادثة العظيمة والقُدوة في الثبات على دين الله مهما كانت الإغراءات والعقبات، والتضحية من أجله والعمل لإعلاء راية والتمكين له في الأرض، وفي

الشعور بالأخوة الإيمانية لكل يحمل عقيدة الإسلام ومنهج الإسلام، ومد يد المساعدة بكل ألوانه إلى إخواننا الذين يلاقون عنت الكافرين وإيذاءهم ورغبتهم القضاء على دين الله في الأرض.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ونفعني الله وإياكم، والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله نستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونثني عليه الخير كله، أنت ربنا كما أثنت على نفسك، عز جارك، وجل شانوك، ولا إله غيرك، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد النبي الأمي، صاحب القدر العظيم، والخلق الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد، فيا إخوة الإيمان ونحن نستحضر ذكرى الهجرة النبوية العطرة، نستحضر قدر ومكانة صاحب الذكرى، سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمد بن عبد الله، سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين.

وإنه لتعرض لنا في خلوتنا بأنفسنا أحيانا أسئلة منها: لماذا اختار الله عز وجل سيدنا محمدا من بين البشر لرسالة الإسلام؟ ما هي الصفات التي تميز بها (ﷺ) حتى اصطفاه الحق على الخلق برسالة هي منهج الحق إلى كل الخلق؟

والله عز وجل هو الذي يستطيع أن يزن قيمة رسوله الوزن الحق، وليس ذلك لأحد من البشر، قال الله تعالى: (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سورة الملك/ الآية: 14.

وإذا أردنا أن نعرض لتقييم الخالق لرسوله (ﷺ)، وجدناه حين يخاطب جميع الأنبياء والرسل، يخاطبهم بأسمائهم مباشرة، فيقول تبارك وتعالى: (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) سورة طه/ الآية: 117، وقال: (قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) سورة هود/ الآية: 46، وقال: (فلما أتاه نودي ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) سورة طه/ الآية: 11، 12. وعندما يتوجه الله تعالى بالحديث إلى حبيبه محمد (ﷺ) يقول له (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا

منيرا) سورة الأحزاب/ الآية: 46:45.

وهكذا يرفع الله عز وجل نبيه (ص) إلى اقرب المكائات من ربه، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإما نجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكد لها، يقسم بأشياء كثيرة، ومن أجناس شتى، ولكننا لم نر الله عز وجل أقسم ببشر مطلقا إلا برسوله محمد (ﷺ) حين يقول: (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) سورة الحجر/ الآية: 72.

هكذا يقسم الله تعالى بحياة رسول الله (ص)، وكان حياته لها مكانة ومقام رفيع عند الخالق الكريم، وحينما يصف الله سبحانه وتعالى رسوله الأمين، فإنه يقول: (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم/ الآية: 3، وليس المقصود بهذا الخلق ما تم التعارف عليه من خلق البشر، ولكن المقصود هو الحق الذي يصلح لتحمل رسالة الخالق سبحانه وتعالى.

ورسول الله (ص) قد حصل على شهادة من الخلق سبحانه وتعالى بأنه على هذا الخلق القويم.

ولقد جعله الله عز وجل القدوة والإسوة للمؤمنين الصادقين، فقال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) سورة الأحزاب/ الآية: 21. وقالت فيه عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن".

فاتقوا الله أيها الإخوة المؤمنون، وتتبعوا أخلاق وكلام رسولكم الكريم في سنته، وأحيوها بالسلوك العملي، تفوزوا بالسعادة في الدنيا ويلقباه يوم القيامة في الجنة.

هذا وخير ما ختم به الكلام، ونجعله مسك الختام، أفضل الصلاة وأزكى السلام على ملاذ الورى وشفيع الأنام، فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين وعن سائر الصحابة أجمعين، خصوصا الأنصار منهم والمهاجرين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وانصر اللهم المسلمين وأعل اللهم كلمة الحق والدين، ووفقنا اللهم لما تحب وترضى، واهدنا، واهد بنا واجعلنا هداة مهتدين، وحبيب اللهم إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان والفضائح مظهر منها ومابطن.

وانصر اللهم ملك البلاد الملك محمدا السادس، نصرا محفوقا بالرشاد وأيده ببطانة من أصلح العباد، واجعله عوننا على الحق وضدا على الفساد، واجعل اللهم ولاية المسلمين في خيارهم وانزعها اللهم من شرارهم.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وفقنا عذاب النار

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

نظريات الإمام مالك حول العقيدة والعبادات وكذلك حول المصالح التي لم يرد في نظيرها نص خاص

(الحلقة الثانية)

■ للأستاذ: محمد الطنجي

وكلياتها ويجري على مقتضاها ويستند في ذلك إلى بعض القضايا من هذا النوع وقعت في عهد الخلفاء الراشدين من غير أن تكون منصوفا عليها من الرسول عليه السلام.

وكذلك الشأن في باب سد الذرائع ومقصود الشرع من الخلف كما يقول الغزالي خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، هل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وقد تكلم حجة الإسلام الغزالي عن المصالح المرسله وقال بجواز أداء الاجتهاد إلى بعض صورها إذا كانت المصلحة في مقام الكلية القطعية الضرورية، وأوضح الإمام القرافي ضمن تعريفه للمصالح المرسله حجة الإمام مالك في القول بها، ووجهه نظر الغزالي فقال في كتابه التنقيح عند كلامه على أدلة المجتهدين ما نصه، المصلحة المرسله، والمصالح بالإضافة إلى شهادة الشرع لها بالاعتبار على ثلاثة أقسام: ما شهد الشرع باعتباره وهو القياس الذي تقدم، وما شهد الشرع بعدم اعتباره نحو المنع من زراعة العنب ليلا يعصر خمرا.

وما لم يشهد له باعتباره ولا بإلغاء وهو المصلحة المرسله، وهي عند مالك، رحمه الله، حجة، وقال الغزالي: إن وقعت في محل الحاجة أو التهمة فلا تعتبر، وإن وقعت في محل الضرورة فيجوز أن يؤدي إليها اجتهاد مجتهد، ومثاله ترس الكفار بجماعة المسلمين فلو كشفنا عنهم لصدومونا واستولوا على دار الاسلام وقتلوا كافة المسلمين، ولو رميناهم لقتلنا الترس معهم فيشترط في هذه المصلحة أن تكون كلية قطعية ضرورية، فالمصلحة احتراز عما إذا تترسوا في قلعة بمسلمين فلا يحل رمي المسلمين إذ لا يلزم من ترك تلك القلعة فساد عام، والقطعية احتراز عما إذا لم نقطع باستيفاء الكفار علينا إذا لم نقصد الترس، وعن المضطر بأكل قطعة من فخذ والضرورة احتراز عن المناسب الكائن في محل الحاجة والتهمة هكذا نقل القرافي نظرية الغزالي في تخصيص جواز القول بالمصالح المرسله في الصورة الكلية القطعية الضرورية، ثم بين القرافي وجهة نظر الإمام مالك وأتباعه بقوله لنا إن الله تعالى إنما بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام لتحصيل مصالح العباد عملا بالاستقرار.

فهما وجدنا مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع. انتهى من متن التنقيح ثم شرع القرافي في تبين اعتبار سائر المذاهب للمصالح المرسله فقال: تقدم أن المصلحة المرسله في جميع المذاهب عند التحقيق.

مراعاة مقصود الشارع أن لا يخرج عنه ولا يناقض أصلا من أصوله، حتى لقد استشنع العلماء كثيرا من وجوده استرساله زاعمين أنه خلع وفتح باب التشريع وهيئات ما أبعد عن ذلك رحمه الله، بل هو الذي رضي لنفسه في فقهه باتباع بحيث يخيّل لبعض أنه مقلد لمن قبله، بل هو صاحب البصيرة في دين الله حسبما بين أصحابه في كتابه سيرته.

بل حكى عن أحمد بن حنبل أنه قال: إذا رأيت الرجل يبغض مالك، فاعلم أنه مبتدع، وهذه غاية في الاتباع، قال أبو داود أخشى عليه البدعة، يعني الميغص لمالك، وقال ابن مهدي إذا رأيت الحجازي يحب مالك بن أنس فاعلم أنه صاحب سنة وإذا رأيت أحدا يتناوله فاعلم أنه على خلاف السنة.

ولابد هنا من بيان التفرقة بين البدعة في الدين المنصوص على ردها وعدم اعتبارها في قول الرسول عليه السلام، كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد، وبين المصالح المرسله التي اعتبرها، أولا، مالك ثم أنتج البحث أن كثيرا من الأئمة يقولون بها كما يقول الإمام القرافي وإن انكروا على الإمام مالك القول بها.

يفرق الإمام الشاطبي بين البدعة والمصالح المرسله بثلاثة أمور: أولها، الملاءمة لمقاصد الشرع بحيث لا تنافي أصلا من أصوله ولا دليلا من دلائله.

والثاني أن عامة النظر فيها إنما هو فيما عقل منها وجري على دون المناسبات المعقولة التي إذا عرضت على العقول تلقته بالقبول فلا مدخل لها في التعبدات ولا ما جرى مجراها من الأمور الشرعية لأن عامة التعبدات لا يعقل لها معنى على التفصيل، وقد بين الشاطبي بالأمثلة هذه الأشياء التي ذكرها مثل عدد ركعات الصلاة والغسل من الجنابة كما أسلفنا. ثم قال: والثالث أن حاصل المصالح المرسله يرجع إلى حفظ أمر ضروري ورفع حرج لازم في الدين؟ يقول: إذا تقرر هذه الشروط فاعلم أن البدع كالمضادة للمصالح المرسله لأن موضوع المصالح المرسله ما عقل معناه على التفصيل والتعبدات من شأنها أن لا يعقل معناها على التفصيل.

وإذا تبيننا مفارقة المصالح المرسله للابتداع، في الدين ننقل إلى وجهة النظر في اعتماد المصالح المرسله في التشريع الإسلامي انتهى.

والإمام مالك رحمه الله في باب المصالح وياب سد الذرائع ينظر إلى روح الشريعة

لمصالح الناس في كل زمان ومكان.

ثم بين وجه اشتباه ما سماه البدعة المستحسنة بالاستحسان الفقهي والمصالح المرسله، ثم كشف كل شبهة وإزال كل غمّة فبين أن البدع ليست من هذين الأصلين في ورد ولا صدر، ولا تتفق معهما في علة ولا غرض، فإن البدعة كيفما كانت صفتها استدراك على الشرع وافتيات عليه.

أما المصالح المرسله والاستحسان فهي الموافقة لحكمته وجارية على غير المعين من عموم بياناته وأدلتها، وقد أورد المصنف ما قيل في تعريف دينك الأصلين ووضح ذلك بالشواهد والأمثلة فلو أنك قرأت جميع ما تداولته المدارس الإسلامية من كتب أصول الفقه وفروعه الاثنان وانت لا تعرف حقيقة المصالح المرسله والاستحسان كما تعرف من هذا البحث الذي أوردنا المصنف فيه تابعة لبيان حقيقة البدعة لا مقصودة بالذات انتهى كلامه.

والمصالح المرسله في الحقيقة وسد الذرائع تمس روح التشريع وتقوم على أساس قواعد التي رعاها الشارع الحكيم في الأمور الاجتماعية وحفظ النظام العام في المجتمع وقد تكتسب المصالح المرسله بالبدع، أحيانا، عند من لم يكن عنده اطلاع عميق على مرامي التشريع الإسلامي ولذلك نجد الإمام الشاطبي بنى نظرياته في بيان الفوارق بين البدع والمصالح المرسله على ما اعتبره الإمام مالك من أن الشريعة الإسلامية فيها قسم العبادات الخاصة التي يتلقى من الشارع لا اعتقاده والعمل به من غير بحث عن علله وأسبابه مثل هيئات الصلاة وعدد ركعات فرائضها وأحكام الوضوء والغسل من الجنابة دون الغسل العام من الفضلات الأخرى التي تخرج من الإنسان المكلف إلى آخر هذه الأمور وهناك قسم آخر في الشريعة الإسلامية وهي قسم المعاملات.

يقول الشاطبي في وقوف الإمام مالك مع نص الشارع في العبادات: التزم مالك في العبادات عدم الالتفات إلى المعاني وإن ظهرت لبائدي الرأي ووقفا مع فهم من مقصود الشارع فيها من التسليم على ما هي عليه... ثم يقول: ودورانه في ذلك كله على الوقوف على ما حده الشارع دون ما يقتضيه معنى مناسب، إن تصور لقلة ذلك في التعبدات ودوره، بخلاف قسم العادات الذي هو جار على المعنى المناسب الظاهر للعقول، فإنه استرسل فيه استرسال المدل العارف في فهم المعاني المصلحية، نعم مع

وأصول الفقه إنما معناها استقرار كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين وعند الطالب سهلة الملتبس.

وكذلك أصول الدين وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير لأدلة القرآن والسنة، أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به كما كان الفقه تقريراً لأدلتها في الفروع العبادية. ثم أورد الإمام الشاطبي تساؤلاً حول حد هذه الخدمة للشريعة الإسلامية من المخترعات المبتدعة وأجاب عنه بما يوضح خروجه عن الابتداع في الدين فقال: فإن قيل فإن تصنيفها على ذلك الوجه مخترع فالجواب أن له أصلاً في الشرع، ففي الحديث ما يدل عليه، ولو سلم أنه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجملته يدل على اعتباره وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسله وسيأتي بسطها بحول الله.

فعلى القول بإثباتها فلا إشكال أن كل علم خادم للشريعة داخل تحت أدلته التي ليست بماخوذة من جزء واحد فليست ببدعة البتة. وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك مبتدعات وإذا أدخلت في علم البدع كانت قبيحة لأن كل بدعة ضلالة كما يأتي بيانه أن شاء الله.

ويلزم من ذلك أن يكون كتاب المصحف وجمع القرآن باطل بالإجماع فليس إذا ببدعة ويلزم أن يكون له دليل شرعي وليس إلا هذا النوع من الاستدلال وهو المأخوذ من جملة الشريعة.

وإذا ثبت جزء في المصالح المرسله ثبت مطلق المصالح المرسله، فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو علم الأصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلاً، ومن سماه بدعة فإنما على سبيل المجاز، كما سمي عمر ابن الخطاب قيام الناس في ليالي رمضان بدعة، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قول من قال ذلك معتداً به ولا معتمداً انتهى كلامه.

ويعتبر المرحوم السلفي الرائد الشيخ رشيد رضا الإمام الشاطبي فارس الحلقة في تبين صلاحية الشريعة الإسلامية ببناء مجتمع راق في عدالة اجتماعية شاملة فيقول رحمه الله في تقديمه لكتاب الاعتصام: ومالي لا أذكر لعلماء الشرع الأعلام ولأهل السياسة من علماء الحقوق والأمراء والحكام أهم ما شرحه لهم هذا الكتاب من أصول الإسلام، وهو بحث المصالح المرسله والاستحسان من أصول مذهبي مالك وأبي حنيفة النعمان وبهما يظهر اتساع الشرع

المنطقة الصحراوية والأحماص الاستثمارية

2/2

■ إعداد الأستاذ: محمد الشرقاوي

1. الحصول على رأي استشاري لمحكمة العدل الدولية بدون تحيز لتطبيق المبادئ المشمولة بقرار الجمعية العامة رقم 1514 (15) وفي وقت قريب وحول المسائل والنقاط التالية.

2. فهل كانت الصحراء المغربية (شاطئ وادي الذهب والساقية الحمراء) بدون سلطة حاكمية فيها عند دخول عهد الاستعمار الإسباني؟ وإذا كان الجواب بالنفي فما هي العلاقات القانونية القائمة بين هذه المنطقة وبين كل من المملكة المغربية وموريطانيا بصورة عامة؟
3. تدعو إسبانيا بصورة خاصة وبوصفها سلطة الإدارة للمنطقة، كما تدعو المغرب وموريطانيا بوصفهما طرفين مهتمين بالموضوع بإيداع محكمة العدل الدولية جميع المعلومات والوثائق التي تحتاج إليها لتوضيح هذه المسائل.

4. تدعو عاجلا السلطة المشرفة إلى إجراء عملية الاستفتاء التي كان مقررا إجراؤها حتى تقرر الجمعية السياسية التي يجب اتباعها للإسراع في تصفية الاستعمار في المنطقة تطبيقا لأحكام القرار 1514 (15) في أفضل الظروف وعلى ضوء الرأي الاستشاري الذي سيعطى من محكمة العدل الدولية.

5. تكرر دعوتها لجميع الحكومات لمراعاة قرارات الجمعية العامة المتعلقة بالنشاطات الخارجية للمصالح الاقتصادية والمالية في المنطقة والامتناع عن المساهمة في الاستثمارات أو سياسة الهجرة بقصد تثبيت حالة الاستعمار في المنطقة.

6. تطالب اللجنة الخاصة بتصفية الاستعمار بإبقاء القضية تحت النظر، بما في ذلك إرسال بعثة خاصة لزيارة المنطقة وإعطاء تقريرها للجمعية العامة في دورتها الثلاثين.

(1) هامش حياة الأمم المتحدة. كتاب البعث. عدد 12 نوفمبر 1956 صفحة: 10897.

الصدد: "ابتدأت الجمعية العامة للأمم المتحدة بمعالجة قضية الصحراء المغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) منذ دورتها العشرين المنعقدة عام 1965 واتخذت بشأنها قرارات في دوراتها المتعاقبة من العشرين حتى الخامسة والعشرين، كما عالجت القضية لجنة تصفية الاستعمار منذ عام 1963".

وأهم ما جاء في هذا الفصل السادس من كتاب المؤلف، قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في الدورة التاسعة والعشرين، والذي يحمل رقم 3292 (29) بتاريخ 13/12/1974، وأهم ما جاء في هذا القرار، أنه بناء على كل القرارات السابقة، ومن أجل مناقشة قادمة من المرغوب جدا أن تبحث الجمعية العامة عن رأي قانوني حول بعض النواحي القانونية للمشكلة للنظر فيها في الدورة الثلاثين، مذكرة بالمادة 96 من ميثاق الأمم المتحدة والمادة 66 من نظام محكمة العدل الدولية.

وتنص المادة السادسة والتسعون من ميثاق الأمم المتحدة على نقطتين هما:

1. لأي من الجمعية العامة أو مجلس الأمن أن يطلب إلى محكمة العدل الدولية افتاء في أي مسألة قانونية.
2. وللسائر فروع الهيئة والوكالات المتخصصة المرتبطة بها، ممن يجوز أن تآذن لها الجمعية العامة بذلك في أي وقت أن تطلب من المحكمة إفتاءا فيما يعرض لها من المسائل القانونية الداخلة في نطاق أعمالها.

وتنص المادة السادسة والستون من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية على أربع نقاط تتعلق بالمسطرة التي يجب اتباعها عند عرض القضية على هذه المحكمة الدولية يهنا منها النقطة الأولى وتنص على أنه (أ. يبلغ المسجل طلب الاستفتاء دون إبطاء إلى الدول التي يحق لها الحضور أمام المحكمة) (1) وعليه يقول المؤلف فقد تقرر الحصول على رأي استشاري من محكمة العدل الدولية ينحصر في النقاط التالية:

على الجزء من إفريقيا الشمالية الممتد بين الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية ومستعمرة وادي الذهب الإسبانية ويستنتج "ونستفيد من هذا الاتفاق أولا أن ألمانيا وفرنسا تعتبران في سنة 1911 الصحراء الأطلسية مافوق رأس أبي الجذور (بوجدور) مغربية، وكذلك ما يسمى بموريطانيا، بمعنى أن وادي الذهب للمغرب، وأن إسبانيا استولت عليه واحتلته..."

وفي فقرة أخرى يقول: "وكانت صلاة الجمعة تقام باسم السلطان عبد الحفيظ، ثم السلطان يوسف ثم السلطان محمد بن يوسف، وكانت الحركة الوطنية موحدة بين جميع الأجزاء المغربية".

ويستهل المؤلف كلامه في الفصل السادس عن التطورات السياسية في المنطقة بهاتين الفقرتين اللتين تدلان على مغربية الصحراء يقول: "من المعروف أن المواطنين الصحراويين قد خاضوا سلسلة من النضالات ضد الاستعمار في شمال إفريقيا عبر مراحل تغلغل الإمبريالية في هذه المنطقة وقد ساهموا بصورة فعالة في جيش التحرير المغربي حتى استقل المغرب".

أما الفقرة الثانية فيخصصها للتصريح بالقرار الصادر عن لجنة تصفية الاستعمار فيقول: "لقد صدر قرار من لجنة تصفية الاستعمار في 16 تشرين الأول من عام 1964 أبدت فيه اللجنة أسفها للتأخير الذي تلحقه الدولة الحاكمة بتطبيق مقتضيات التصريح التي تتضمنه التوصية رقم 1514 الصادرة عن الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة، وترجو بإلحاح من الحكومة الإسبانية أن تتخذ على الفور الإجراءات اللازمة من أجل أن تطبق، وبدون قيد ولا شرط مقتضيات التصريح الخاص بمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة".

ثم يتعرض المؤلف لقضية الصحراء المغربية في الأمم المتحدة فيقول بهذا

يقول المؤلف في الفصل الخامس الذي خصصه للحديث عن المحاولات الاستعمارية للصحراء المغربية: "في سنة 1634 رست بواخر برتغالية في الشواطئ الداخلية قصد الحصول على عبيد أفارقة لبيعهم في أوروبا، وفي هذه الآونة أيضا أسس البرتغاليون محطة تجارية في بوجدور، ويظهر أن السكان لم يحاربوا البرتغال نظرا لأنهم كانوا يقتصرون على البحر الذي لا أهمية له في نظر السكان ولأنهم من جانب آخر كانوا تجارا فقط، فلم يتدخلوا في شؤون السكان في أول الأمر.

وبعد احتلال إسبانيا لجزر كناريا ولحرصها على الاحتفاظ بمكاسبها ارتأت أن عليها احتلال الشواطئ الصحراوية المجاورة لهذه الجزر التي من شأها تهديدها إن وجدت فيها قوة أخرى للسيطرة على سوق العبيد المستوردين من إفريقيا، واستيراد المصنوعات الإسبانية، واستغلال الثروة السمكية في المنطقة".

ثم يضيف المؤلف: "ولم يقتصر التكاليف الاستعماري على البرتغال وفرنسا وإسبانيا، بل انضادت إليهم قوة امبريالية رابعة معروفة باهتمامها بالبحار هي بريطانيا التي رست لها باخرة (هلبروش) بقيادة ج. كيلز في ميناء (أخنيفيس).

واستمر الحال هكذا حتى كان ظهور السعديين الذين أخذوا على أنفسهم طرد الأجانب من جميع السواحل الصحراوية حتى مصب نهر السينيغال".

وجاء للمؤلف تحت عنوان (الاحتلال) هذه الفقرة التي تشهد بمغربية الصحراء قوله: "ووقع حول المغرب اتفاق فرنسي ألماني بتاريخ 9 شباط 1909 تم باتفاق 4 تشرين الثاني 1911 تعترف فيه ألمانيا لفرنسا بحق بسط نفوذها الاقتصادي على المغرب، وتصادق على الأوافق الفرنسية الإسبانية المتعلقة بالمغرب وتؤكد بأن المغرب يحتوي



محمد
الخضر الرسوئي

تأملات
و
حوار

رابطة العلماء وتوصياتها ضد آفة الخمر

تشعل بلادنا بحوادث السير التي أصبحت بمثابة حرب ضروس على حياة الناس، وكم من أب ذهب ضحية حادث بسبب السكر فخلف أولاده أيتاما بلا معيل، وكم من أسرة آتت على أفرادها بالكامل حادثة سير بسبب الإفراط في شرب أم الخبائث أو لأن رب الأسرة مدمن حتى الثمالة، والكثيرون من السائقين ومستعملي السيارات لا يحترمون قانون السير، بسبب استهتارهم وإدمانهم يسابقون الريح داخل المدينة وفي الأماكن المزدحمة بالمارة مع أن السرعة المحددة داخل المدن لا تتجاوز أربعين كيلومترا في الساعة، وستبقى الآفة الكبرى والسبب الحقيقي المباشر للمأساة الاجتماعية التي يكتوي المجتمع بنارها هي آفة قنينة الخمر، ففي بعض البيوتات والضيقات الأنيقة الواسعة أصبحت الخمر تقدم للضيوف كما لو أنها قهوة عادية أو شاي أخضر أو أسود. وإذا قدر لك أن تدخل إلى هذه البيوت المخملية فإنك ستفاجأ ببار مكتمل الشروط بديكوره العجيب بدلا من مكتبة زاخرة تملأ عينيك بكنوزها المعرفية، وقد حدثني أحد الأصدقاء عن حضوره حفلا في هذه الأماكن فبعد ترحيب صاحب البيت به دعاه إلى "حفرة" دون أن يعلم ما تعنيه كلمة "حفرة" ومن غير أن يدري وجد نفسه مع قوم يمسكون الكؤوس، ويشربون الخمر على إيقاع ضحكاتهم الهستيرية وصدمته المفاجأة فازدد سريعا للمصعود من الحفرة التي أوقعه فيها صاحب الفيلا وفيما هو يصعد الدرج بادره مدمن غائب عن عقله: إنك والله رجعي، ما فعلته معنا هو الحرام، أما الخمر فهي حلال مائة في المائة وهكذا هرب الصديق بجلده من الحفلة والحفرة معا، ويحكي مشاهداته عن مدمن الخمر بوصف عجيب وذكر لأخطار الخمر على الصحة: هم مصابون ربما بأزمات نفسية، يبدأون بتناول كؤوسهم وهم في غاية الانشراح والانبساط والأنس والسرور يزعمون التحرر من قلقهم وانضباطهم الاجتماعي وينسون أنه عندما يزول تأثير الكحول على عقولهم يصبحون في حالة قلق أكثر، فيعاودون الشرب وبالتالي يصبحون أصدقاء حميمين للقنينة. إنهم يجهلون أو يتجاهلون أن الخمر تؤثر على جهازهم العصبي وتدفعهم إلى نبذ الفضيلة وفعل كل منكر قبيح، هل تعلمون أن الإدمان له نتائج خطيرة على ذاكرتهم ويفتقدون بكبادهم وتليفيها إلى مرحلة التشمع التي لا شفاء منها، والمؤكد علميا أن نسبة السرطان الكبدي ترتفع كثيرا بين المدمنين.

لقد رجعت إلى توصية قديمة صادرة عن المؤتمر الأول التأسيسي لرابطة علماء المغرب سنة 1960 جاء فيها: بما أن الخمر فتاك بالجسم والعقل الذي شرف الله به الإنسان يهيب العلماء بذوي السلطة أن يقفوا موقف الصرامة من شاربه ويأمنه ويرون أن من العار السماح بروج الخمر في الحفلات الرسمية داخل المغرب وخارجه ويلحون على ذوي المسؤولية في هذه البلاد المسلمة أن يعملوا على تطهير الاقتصاد المغربي من المتاجرة في الخمر ومنع رخص إيرادها وإصدارها.

واستوقفتني شهادة الألماني السفير المسلم "مراد هوفمان" قال فيها: إن مدمن الكحول أشبه ما يكون بالحيوان، ومدمنا الكحول يتسببون في أضرار جسيمة كالقتل والتشويه وهدم العائلات والأموال والممتلكات لذلك فهم يشكلون أعباء على المجتمعات وعلى الاقتصاد ويكلفون مليارات الدولارات سنة بعد سنة.

إن توصيات كثيرة صدرت عن رابطة علماء المغرب بشأن آفة الخمر منذ مؤتمرها الأول وإلى مؤتمرها الحادي عشر، لكن يبقى السؤال: أين التنفيذ؟

كيفية اختيار الموعظة الموعظة الحسنة

(الحلقة الرابعة)

إعداد: العربي المودن

وتجروا على المناكر والمعاصي، واشاعوا الفواحش بينهم دون خجل ولا استحياء، إن لا يفتح الواعظ في وجوههم أبواب "البشائر والرخص" وأن يرجح في دعوته أسلوب الترهيب على الترغيب، وأن يستعمل علاج الخوف من عقاب الله، أكثر مما يستعمل علاج الرجاء في عفو الله، وحده الخوف: ماحجز عن معاصي الله، فمأزاد على ذلك فهو غير محتاج إليه، وهذا المعنى يستند إلى سنة رسول الله (ص) استنادا تاما، ففي الصحيح عن معاذ بن جبل أن رسول الله (ص) قال: "يا معاذ، اتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ إلى أن قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ فقال رسول الله (ص): لا تبشروهم فيتركوا ومدار هذا كله على الحكمة التي ينبغي أن يتسلح بها كل واعظ وداع، إلى جانب سلاحه العلمي والمعرفي "ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا".

ويجب أن نعلم أن الواعظ الواعي الرباني لا يستغني عن امرين مهمين هما:

أ. الاخلاص الذي يجعله صادقا، ويحسه على تبليغ الرسالة وهداية الخلق إلى الله، ويمتعه بالرضى النفسي الذي يهون عليه مجابهة الشدائد ويجعله مصرا على الاستمرار في وعظه، واضعا نصب عينيه الهدف الاسمي لكل واحد منا ألا وهو "رضى الله والجنة".

ب. التعرف على واقع الناس: ومن شأن هذه المعرفة، أن يبني دعوته للإصلاح على الجوانب الواقعية المتمثلة في حياة الناس العامة، وبذلك يقتصد في الجهود التي يمكن صرفها في أمور لا صلة لها بالحياة ويقتصر على ما تمس إليه الحاجة.

وينبغي أن يكون الواعظ متحملا بما يدعو له بوصفه قدوة، حتى لا ينطبق عليه قول الشاعر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذا عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا فالموثقات لعمري أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

ولما كان الواعظ يعيش في مجتمع مليء بالتيارات المختلفة، وجب عليه أن يتصدى لردّها ومقاومة زحفها وتصحيح ما يمتدح تصحيحه، على النحو التالي:

1. إظهار أن الإسلام هو العلاج الشافي بأصوله ونظامه وتشريعاته وأخلاقه.

2. التركيز على الإيمان وتقويته في النفوس.

3. إظهار أخلاق الرسول (ص) وخصائصه وجهاده وحقوقه.

4. الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي الذي يكرسه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة "واعصموا بحبل الله جميعا..." "كلكم من آدم وأدم من تراب".

5. تسليط الضوء على العدل الاجتماعي في الإسلام.

6. التأكيد على أن الإسلام يغني عن غيره، وأن المسلمين ليسوا في حاجة إلى استصدار مذاهب وإنما هم في حاجة إلى التقدم العلمي والتكنولوجي واستغلال خيرات أرضهم، والعمل على وحدة صفوفهم.

وتظل هذه الممارسة من الدعاة والواعظ جهودا بشرية معرضة للخطأ والصواب، ولكن الخطأ لا يعطل مسؤولية ولا يوقف ممارسة، إذا صح الإيمان والعلم والتعمق في دائرة الاجتهاد، وإذا صحت الاستفادة من الخطأ، فإنه يكون مدرسة تصحح وتقوم الخبرة والتجربة، وتصحح النية بالتوبة، لتنمو الممارسة وتقوى. "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين".

إن اتباع منهج الله وهدية، انقاذ للإنسان من الخوف والحزن، ومخالفة هذا المنهج نتيجته الضلال والشقاء إن الإنسان الذي يمتلك منهج السماء ويطبقه، يضمن السلامة والتوازن في صيرورة حياته الفردية والاجتماعية، أما من يبتعد عن هذا المنهج فإن له معيشة الضنك "ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى..."

ونعلم أن الجمال في الكون ناتج عن كون النتائج متناسقة مع المقدمات، ونعرف، أيضا، أن القبح في الوجود ينبئ الناس إلى أن هناك شيئا مفقودا من منهج الله، وكان القبح صرخة تستجد وتقول: يا قوم، هنا حد من حدود الله معطل، وكمثال على ذلك، إن الألم الذي يتألم منه المريض، ليس شرا، ولكنه صرخة تقول: يانفس هنا داء لا بد من علاجه، وهكذا يكون الألم نفسه هو طريق العافية.

وانطلاقا من هذا نقول: إن المجتمع الإسلامي في هذه الحياة، تعتبره حالات مرضية ناتجة عن الخروج عن شرع الله، لذلك وجب على الداعي والواعظ، أن تكون موعظته بلسمًا لجراح المجتمع، بأن تكون منصبة على إصلاح الواقع بشقيه النفسي والاجتماعي "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" وكلما كانت الموعظة علاجا لواقع معين، ومرض معين، كانت أنفع للموعوظين والمستمعين لها.

والموعظة إما أن يكون القصد منها انقاذ الموعوظين من شر قائم قد وقعوا فيه فعلا، وإما أن يكون القصد منها تحذيرهم من شر متوقع يخشى عليهم أن يقعوا فيه في القريب أو البعيد.

فالبنسبة للحالة الأولى يجب القيام بالدعوة فورا، وفي أول الوقت إن أمكن، وبالبنسبة للحالة الثانية تكون المبادرة إلى الدعوة واجبة إذا خيف من تأخيرها حرج وإلا جاز تأجيلها إلى الوقت المناسب حسب الحاجة. وينبغي أن تكون الموعظة بأسلوب ولغة يفهمها جميع الحاضرين حتى تعم الفائدة. قال علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، في هذا الصدد: "حدثوا الناس بما يفهمون أحببون أن يكذب الله ورسوله" وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان على بعضهم فتنة" وعلل زين الدين المناوي كلام ابن عباس بأن العقول لا تحتمل إلا قدر طاقتها، فإذا زيد عليها مالا تحتمله، استحال الحال من الصلاح إلى الفساد.

ومن هنا يجب على الواعظ أن يصف لكل داء نفسي أو اجتماعي علاجا خاصا، لا يعمده إلى غيره، كما يصف طبيب العيون للمريض بها علاجها الخاص. وهكذا فللمريض بالكبر دواء، وللمريض بالحسد دواء، وللمريض بالطمع دواء، وللمريض بالشح دواء، وللمريض بترك الصلاة أو جمعها دواء، وللمريض بأكل أموال الناس بالباطل دواء... وهكذا، وفي الشريعة المطهرة أدوية لا تحصى لكل داء من الأدواء.

هذا، إذا كان الواعظ على بينة من أمراض مخاطبيه، أما إذا كان يتكلم في جمع لا يدري علل المجتمعين فيه، لعدم اطلاعه على أحوالهم من قريب، فلا بأس أن يدعوهم إلى ما يشترك فيه كافة الخلق أو أكثرهم. ويعتمد في هذا النوع من الدعوة على ما في الشريعة المطهرة من أغذية نافعة لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم وتعدد مشاربهم.

وينبغي الإشارة إلى أنه إذا تهاون الناس بأمر دينهم

واحة الميثاق

إعداد الأستاذ: عمر الرسوني

أحب الكلام إلى الله

عن أبي ذر رضي الله عنه قال، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟" إن أحب الكلام إلى الله: "سبحان الله وبحمده". رواه مسلم.

متى عقلت؟

سئل أحد الحكماء من العرب متى عقلت؟
قال ساعة ولدت: فأنكر عليه السامعون هذا القول فقال لهم: لقد بكيت حين خفت، وطلبت الأكل حين جعت، وطلبت الثدي حين احتجت إليه وسكت حين أعطيت.

موعظة

قال الحسن البصري لرجل حضر جنازة: أتراه لو رجع إلى الدنيا لعمل صالح؟
قال: نعم، قال: فإن لم يكن هو فكن أنت.

مرافقة الصالحين

من كلام بعض العارفين: الأخ الأصغر خير من نفسك، لأن النفس أمارة بالسوء، والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير.

خبر

قال أحد الصالحين وهو يحذر بعض الناس: احذروا أن تقدموا على جنة عرضها السموات والأرض وليس لكم فيها موضع قدم.

لا يرد من سأل الله

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من سأل بالله فأعطوه، ومن استعاض بالله فأعينوه ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه". رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

من هدي كتاب الله

قال الله عز وجل:
(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم). سورة التوبة/ الآية: 40.

أمثالنا الشعبية

كل قوة للضعف ترجع.
كل قوي فوق من هو قوي.
كلمة "ولو كان" أخت الشيطان.
يسرق ويصدق.
يعرف ربي ويكفر بالنعمة.

احفظ الوصية

قال أنس بن مالك لمصعب بن الزبير في رجل من الأنصار.
احفظ فينا وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: فنزل مصعب عن سريرته وتمرغ في التراب ووضع خده على الأرض وقضى حاجة الأنصاري.



الباب
الذهبي
في
القدس

فكرة للشباب

للشباب أفئدة رقيقة وقلوب مرهفة وكلمة الشباب تعني الحرارة والنور لأنها مشتقة من قولهم: شب الرجل النار إذا أوقدها فتلاأت بالضيء والنور، وتحمل في نفس الوقت معاني الطموح، ويقال: شب الجواد إذا رفع الرأس إلى أعلى قوائمه الأمامية إلى أعلى.
الشباب هم رجال الغد، وإليهم ستوكل الأمور في المستقبل وبمقدار نجاح المربين والموجهين في إعدادهم وتكوينهم... يكونون في مستوى المسؤوليات الصعبة التي ستسند لهم لبناء الأمة.
ولابد من الرجوع إلى الأصول الأولى في تربية الشباب، والدرس الأول في تربية الجيل الصالح من الشباب وتبدأ بتوجيهات الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - عندما خاطب الآباء "لأن يؤدب أحدهم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع للمساكين".
ويلج على تأديب الشباب قائلا: ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن.

حول مصطلح جماعة المسلمين

■ إعداد: الأستاذ أبو علي

فليزج الجماعة، من سرتة حسنة وساءته سينته فذلكم المؤمن،

وعلى هذا فالجماعة هنا تمثل دعوة للتعاون المستمر، ودعوة للعمل الجماعي الذي يمكن الفرد من ضم جهوده وتنسيق نشاطه مع إخوانه في العقيدة ليكون الفرد لبنة في بناء وعوضا في جسد يمتلك كل المقومات الضرورية للتكوين الجماعي بعيدا عن الفردية والانعزالية والتشنج والتشرد. ومن الواضح أن الجماعة التي يؤمر المسلمون بالتزامها في أمثال النصوص المذكورة في هذه الفقرة ليست واضحة محددة كما هو الشأن في المعنيين المتقدمين من الجماعة، وما ذلك إلا لأن الصيغة الجماعية والمضمون العملي التفصيلي للأمر بالتعاون ليس له شكل ثابت ووسائل محددة، فذلك يتغير حسب الظروف والأحوال، وحسب طبيعة الهدف الذي يتصدى المسلمون لتحقيقه وحسب طبيعة، أمر المسلمين، الذي يعالجونه ويسعون لحله.

من كل ما سبق يتضح أن الفهم الدقيق لمعاني المصطلح الإسلامي، جماعة المسلمين، يبين للمؤمن ما يمليه عليه الأمر الشرعي بلزوم الجماعة:

1. إن جماعة المسلمين التي يؤمر المسلمون بالتزامها ويأثمون إن فارقوها هي جماعة لا وجود لها بغير الإمام المسلم ذي السلطان الذي أجمع عليه المسلمون بعقد البيعة الشرعية.

2. وإن جماعة المسلمين التي تضم كل من سلمت عقيدته من الإنحراف، ومواقف الزلل، يندرج كل مسلم تحت لوائها ما دام معتقدا بما أجمع عليه العلماء والمجتهدون من أهل السنة والجماعة.

3. وإن العمل الجماعي والتعاون على مافيه خير المسلمين واجب كذلك، فلا يملك من آمن بالله ورسوله وانتمى بعقله وعواطفه وقلبه إلى أمة الإسلام، إلا أن يهتم بمشكلات المسلمين الكبرى ويتصدى لحلها بعيدا عن الفردية ومستشعرا الطبيعة الجماعية لجهود أعداء الإسلام في محاولتهم لاستئصاله، فلا يجد بدا من مقابلة الأعداء المجتمعين بوسائل مكافئة تقف باقتدار لمواجهة تخطيط أعداء الإسلام في جهودهم ووسائلهم.. وقد قال تعالى: «وقاتلوا المشركين كافة، كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين» سورة التوبة / الآية 36.

مما سبق يتضح: إن جماعة المسلمين التي تضم المسلمين وتجمعهم على أمير واحد ذي سلطان تمثل هدف المسلمين البعيد الذي يجب أن تنصب عليه كافة أعمالهم وجهودهم. وإن جماعة المسلمين المتمثلة بأهل السنة والجماعة وما أجمع عليه العلماء والمجتهدون من هذه الأمة تمثل العدة الفكرية والاعتقادية لبلوغ هدفها السابق في تحقيق الإمامة الراشدة.

وإن جماعة المسلمين المتمثلة في العمل الجماعي المتعاون على نقاط الاتفاق والاهتمام بأمور المسلمين العامة تمثل الوسيلة العملية والطريقة التي يجب أن تسير بها لبلوغ أهدافنا العملية في الاحتفاظ بالهوية والانتماء الإسلامي لهذه الأمة والوصول بها إلى الخلافة الراشدة على منهال النبوة بإذن الله.

لمقاتلتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة قال قلت: يا أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، ما أدري ما تحدثونا! قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول: صل الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصل مع الجماعة فهي النافلة!! قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: لا.. قال: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. وفي طريق أخرى فضرب على فخذي، وقال: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل. قال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ. ذكره البيهقي وغيره.

وقد ذكر ابن القيم مثله في «أعلام الموقعين» ثم زاد عليه ما ملخصه: وقد جعل بعض الناس السنة بدعة، والمعروف منكرا لقة أهل الحق وتفردهم في الأعصار والأمصار. وقالوا: من شذذ في النار، وما عرفوا أن الشاذ من خالف الحق، فإن كان الناس كلهم، إلا واحدا، خالفوا الحق فهم الشاذون، وذلك الواحد هو الجماعة.

وقد جاء في إحدى روايات حديث النبي، صلى الله عليه وسلم: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ متعددة، منها قوله، صلى الله عليه وسلم: «... كلها في النار إلا واحدة، الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي».. كلهم في النار إلا ملقواحدة، ما أنا عليه وأصحابي.

وواضح من الروايات الثلاث: أن الجماعة يوضحها قوله، صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه وأصحابي» وهو يعني: التزام ما أجمع عليه المسلمون من أمر العقيدة والدين.

3. جماعة المسلمين: هم الفئة من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، التي نبذت الفردية في تحركها لتحقيق الأهداف العملية للمسلمين.. وهم الفئة التي فهمت أمر الله تبارك وتعالى، وتعاونوا على البر والتقوى، فصاغت حياتها على أساس هذا الأمر، فاستكملت في أنفسها الخصائص والميزات التي تعنيها على أداء المهام المشتركة، بتفاعل تام وبعد عن الحرج والتشنج من الاختلاف في الآراء والاجتهادات: وهم الفئة التي فهم كل فرد فيها أهمية التحامه وارتباطه بإخوانه في العقيدة ليحتفظ بالإيمان في نفسه، وليحتفظ باهتمامات العقيدة في قلبه، فالمؤمن ضعيف بنفسه قوي بأخيه، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب حتى يهلك الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان. عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة

على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يارسول الله صفهم لنا. قال: نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: يارسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ فقال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل الشجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك، واللفظ لمسلم. وفي رواية أخرى لمسلم: قلت: يارسول الله كيف أصنع إن أدركني ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع. قال ابن حجر في «فتح الباري» 37/13 في شرح قوله، صلى الله عليه وسلم، تلزم جماعة المسلمين وإمامهم: «وقال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي جماعة؟ فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة: السواد الأعظم. ثم ساق عن محمد بن سيرين عن ابن مسعود أنه وصي من سألته لما قتل عثمان: عليك بالجماعة فإن الله لم يكمل ليجمع أمة محمد على ضلالة». وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم.

وقال قوم: المراد بهم أهل العلم، لأن الله جعلهم حجة على خلق، والناس تبع لهم في أمر الدين، قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر: لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن تكب بيعته خرج عن الجماعة. قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزابا، فلا يتبع أحدا في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر.

2. جماعة المسلمين: هم الطائفة الملازمة للحق من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، هذا الحق الذي يمثل الموقف الفكري والاعتقادي الموافق لسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام والموافق لما أجمع عليه علماء الأمة ومجتهدوها في المسائل الاعتقادية والمسائل العملية.

وقد سأل رجل عليا رضي الله عنه عن السنة والبدعة، والجماعة والفرقة، فقال: حفظت المسألة فافهم الجواب: «السنة، والله، سنة محمد، صلى الله عليه وسلم، والبدعة ما فارقها، الله، جماعة أهل الحق وإن قلوا، والفرق مجامعة أهل الباطل ولو كثروا». وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك».

وقال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»: ما أحسن ما قاله أبو شامة في كتاب الحوادث والبدع حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، والمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا. لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، ولا نظرة إلى كثرة أهل البدع بعدهم. قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذا باليمن، فما فارقته حتى وازيته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فسمعتة يقول: عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة. ثم سمعته في يوم من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولا يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة

من الأمور الهامة التي دعا النبي، صلى الله عليه وسلم، إليها في كثير من الأحاديث أن يلزم المسلم الجماعة.

وعندما يتأمل المرء فيما ورد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في هذا المعنى يستشعر الأهمية البالغة والضرورة العلمية الملحة للزوم الجماعة، حيث يضع النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا الأمر تعبيرا عن الإلتزام بمنهج الإسلام الكامل والاتباع للسنة المطهرة، ومخرجا من الأزمات والفتن، فالجماعة: هي الإطار الذي يصوغ حياة المسلم العملية ليؤدي دوره وواجبه في الحفاظ على العقيدة في قلبه، ولينطلق بين الناس مستشعرا واجبه الاجتماعي في تأكيد الهوية الإسلامية للمجتمع، وتأكيد الإنتماء للأمة المسلمة، معبرا عن ذلك بحمل هموم الأمة الحاضرة، والاستفادة من تجاربها الماضية، وبالعامل الجاد لتحقيق تطلعاتها وأهدافها المستقبلية.

من خلال هذا الإطار العام لمعنى لزوم الجماعة، أصبح من الضروري أن نعود إلى شرح هذا المصطلح الإسلامي، جماعة المسلمين، لنحدد من خلال معانيه وأفاقه واجبات المسلم وما يمليه عليه الأمر الشرعي بلزوم الجماعة.

جماعة المسلمين: هم المسلمون الذين دخلوا في عقد البيعة مع إمام للمسلمين ذي السلطان سلطة تنفيذية، بحيث يستطيع أن يمضي ما يريد، ويجمع الأمة ويحكمها بما أنزل الله، ويقيم الحدود ويحمي الثغور، ويكون مؤتمنا على دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم. وقد ذكر ابن خلدون أن الإمام إذا لم يستطيع أن يمضي رأيه، كان كان مقهورا أو عاجزا عن التصرف جملة بالأسر وشبهه. فإنه يفقد شرط السلامة الواجبة في الإمام ولا تجب طاعته عندئذ.

والنصوص التي وردت تأمر بالطاعة، وتنتهي عن مفارقة الجماعة تنصرف إلى هذا المعنى المقصود بـ «جماعة المسلمين»، ونذكر هنا طرعا منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت، إلا مات ميتة جاهلية». وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري:

« قيل: المراد بالمفارقة، السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء. فكفى عنها بمقدار شبر لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق.

وقوله، ميتة جاهلية، أي كموت أهل الجاهلية حيث لم يعرفوا إماما مطاعا، وليس المراد أنه يموت كافرا، بل إنه يموت عاصيا..

روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون النبي، صلى الله عليه وسلم، عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. فقلت هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن فقلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنن بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة

الهجرة النبوية

دروس وعبر

(الحلقة الثانية)

■ خميس العابد

التعاون والتآزر:

ومن أهم الدروس التي لا يمكن أن تغيب عن أذهاننا ونحن نحكي ذكرى الهجرة النبوية : موقف الأنصار سكان المدينة ، هذا الموقف الكريم القائم على التراحم والتعاون ومساعدة المحتاج.

وهذا الموقف القائم على التآزر والذي سجله القرآن الكريم في قوله تعالى: والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون، سورة الحشر / الآية : 9.

وفي هذه الذكرى ذكرى الجهاد العظيم والنضال المرير يجب أن يتذكر الذين أنعم الله عليهم بالمال إخوانهم المحتاجين استجابة لدعوة الله وتأسيساً بسنة نبيه الكريم واقتداء بما كان عليه السلف الصالح.

الوحدة الاجتماعية:

وفي الهجرة النبوية كان أول عمل قام به الرسول ، صلى الله عليه وسلم، أن وحد بين القبائل المفرقة وأخى بين المهاجرين والأنصار ، والتزم جميع سكان المدينة بما جاء في المعاهدة التي كانت بمثابة الميثاق الوطني والتي ركزت حرية العقيدة واحترام القانون وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة.

فقد وحد، صلى الله عليه وسلم ، المجتمع في المدينة وعلم المسلمين أن تضامن المجتمع ووحدته مبدأ أساسي لنجاح الأمة في معركتها ضد التخلف بأنواعه وهو شرط أساسي لتحقيق النصر في جميع المجالات. وهذا التضامن والمجهود يبذلهما جميع الفئات والطبقات حتى تتمتع أواصر المحبة بين الجميع ويشيد نسيج التآلف والتآخي بين كافة الأفراد.

وقد نوه القرآن الكريم بهذا المجتمع الذي قامه الرسول، صلى الله عليه وسلم، فبعد أن أشاد بصدق المهاجرين وعدد فضل الأنصار وأكد فلاحهم دعا التابعين إلى ما به يصلح المجتمع وتتحرك كل فئاته فقال تعالى: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، سورة الحشر / الآية: 10 هذه الآية الكريمة قد بينت موقف المسلمين فيما بينهم ووضحت مشاعرهم نحو بعضهم فلا مجال للحقد

الاستعانة بالله بعد توخي أسباب النجاح:

وعلى المسلم بعد توخي جميع أسباب النجاح وتحمل المتاعب ومكابدة المشاق والتحلي بالصبر والمجاهدة أن يستعين بالله في جميع أعماله تأسيساً بالرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روي أنه لما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة دعا ربه فقال: « الحمد لله الذي خلقني ولم يك شيئا، اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام . اللهم أصحبني في سفري وأخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ... إلى آخر الدعاء..

فالاستعانة بالله والتوكل عليه من سنن الرسول ، صلى الله عليه وسلم، وعلى المسلمين الاقتداء به وعدم نسيان الله تعالى في سفرهم وإقامتهم وفي كل عمل يعزمون عليه .

قال الله تعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) سورة الحشر / الآية: 19

من دروس الهجرة : محبة الوطن وتنمية خيراته.

ففي الهجرة النبوية درس ومثال للوطنية الصادقة وينبغي لكل منا أن يستوعب هذا الدرس ، فالرسول ، صلى الله عليه وسلم، غادر مكة مهاجراً وفي قلبه محبة لموطنه مكة محبة أسالت دمعته وجاءت على لسانه الشريف في قوله : « إنك أحب بلاد الله إلي »، ثم لما استقر بالمدينة المنورة تجلى حبه لها في عديد المناسبات ، فعن عائشة . رضي الله عنها . قالت: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال قالت فأخبرت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بذلك، فقال: « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم وصحبها وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حماها..» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، « اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما

وعن أبي هريرة قال : كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا أوتي بأول الثمر قال: اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة، اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليلك وإني عبدك ونبيك وأنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه، ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان، أخرجه مسلم فمحبة الوطن . وتنمية خيراته . والاحتمال بأول ثماره لتشجيع الناس على تنمية الانتاج كل ذلك من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ميثاق الرابطة

صحيفة أسبوعية جامعة

العدد 983

السنة 35

الجمعة 14 محرم 1422 هـ

الموافق 29 مارس 2002 م

المدير المسؤول:

الأمين العام بالنيابة

الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:

إدريس كرم

رئيس التحرير:

محمد الخضر الريسوني

التحرير:

محمد القاضي

مصطفى ودادي

التمن: 3 دراهم

رقم الإيداع القانوني: 1994/160

الترقيم الدولي: ISSN: 4348

عنوان البريد الإلكتروني:

rabitat @ iam.net-ma

الاشتراكات السنوية

داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي: 25201015549.01

وكالة بنك الوفاء-حي أكسال-الرباط

التصنيف والإخراج الفني:

ميثاق الرابطة

العنوان: 107- شارع فال ولد عمير.

رقم 7- أكسال - الرباط

الهاتف: 037 67 03 51

الفاكس: 037 67 45 93

السحب:

مطبعة فضالة- المحمدية - المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا

للمقتضيات الصحافية والتقنية

وتعبر عن آراء أصحابها

طبع من هذا العدد 4000 نسخة

رحاب جامع القرويين تشهد حفلا كبيرا

بمناسبة تقديم القانون التنفيذي في شأن التعليم العتيق

علماء المغرب يجتمعون بفاس للمشاركة في هذا الحدث التاريخي



المحلية، وجمعيات المجتمع المدني المهمة، إضافة إلى العديد من المؤمنين والأنمة والوعاظ والخطباء والقائمين بالخطط الشرعية والمهتمين عموما بالشأن التعليمي من جميع أنحاء المغرب، حيث التقى الجميع على صعيد واحد للاحتفال بصدر القانون المنظم للتعليم العتيق بعدما نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ 2002/2/11 والذي يعد قفزة نوعية في مجال التربية ببلادنا، وإعادة الاعتبار للمشاركة الشعبية في الشأن التعليمي من حيث التمويل والتشغيل والإدماج في النسيج الاجتماعي والحضاري، وهو ما أبرزه بجلاء معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في كلمته بالمناسبة والتي ألقاها بعد تلاوة آي من الذكر الحكيم.

هذه الكلمة التي تطرق فيها للمغزى من صدور هذا القانون الذي يعتبر كما يقول سيادته نقلة نوعية في مجال إحياء هذا التعليم، وإعادة هيكلة وتنظيمه والإعتراف بشهادته، وإيجاد الجسور بينه وبين التعليم العصري، ويحقق له الوقوف بشموخ أمام التعليم العمومي، وفقّة تكامل وتعاون لتخريج علماء مؤهلين لتأطير حياتنا الدينية، تأطيرا يحافظ على الأمن الروحي والإشعاع الديني والحضاري لبلادنا في إفريقيا والشرق. وقد كانت بحق كلمة مؤثرة ذكرت بالعلماء الذين كانوا يعتقدون أن هذا التعليم قد قبر ولما فتحت الدراسة برحاب القرويين انهمرت دموعهم فرحا وخوفا على ذلك الوليد الذي بلغ من العمر اليوم ثلاثة عشر سنة وخرج فوجين تلقى الثاني منهما شهادته في هذا الحفل الغير المسبوق. وقد ألقى كلمات وقصائد بالمناسبة سندر ج جميع في ملف لاحق بحول الله، وقد ختم الجمع برقية ولاء وإخلاص وامتنان مرفوعة إلى الجناح العالي بالله هذا نصها :

شهدت العاصمة العلمية يوم الأربعاء 2002/3/27 حفلا شيقا جعل ذلك اليوم مشهودا للحدث الذي وقع فيه.

ذلك أن رحاب جامع القرويين عرفت تجمعا لعلماء المغرب وفقهائه من جميع أنحاء البلاد ابتهاجا بصدر قانون التعليم العتيق.

وقد ترأس ذلك الحفل الحدث، معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري بحضور مستشار صاحب الجلالة الأستاذ علال سيناصر، ومعالي وزير التربية الوطنية الأستاذ عبد الله ساعف، وأعضاء من السلك الدبلوماسي والسلطات

برقية مرفوعة إلها مولانا أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده

بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

مولاي أمير المومنين، سبط النبي الأمين صاحب الجلالة والمهابة الملك محمد السادس دام لكم النصر والتمكين والعز والفتح المبين.

السلام على جنابكم الشريف، ومقامكم المنيف، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد، فيتشرف خديم الأعتاب الشريفة وزير جلالكم في الأوقاف والشؤون الإسلامية - بمناسبة تنظيم الحفل الخاص بصدر القانون المنظم للتعليم العتيق في رحاب جامع القرويين - أن يرفع إلى سدتكم العالية بالله، أصالة عن نفسه ونيابة عن علماء مملكتكم السعيدة، أسمى آيات الإخلاص والولاء، وأبلغ عبارات الطاعة والوفاء، والشكر والإمتنان، وأعظم مشاعر التعلق بشخصكم الكريم، وبأهداب عرشكم العلوي المجيد.

مولاي أمير المومنين :

إن جميع العلماء الحاضرين في هذا الحفل المبارك، ليعتزون أيما اعتزاز بعناية جلالكم الفائقة، ورعايتكم السامية التي ما فتئتم تولونها للعلم والعلماء في هذا البلد الأمين، مؤكدين لحضرتكم المولوية الشريفة أنهم سيبذلون كل ما في وسعهم من جهود لتحقيق الأهداف المتوخاة من تنظيم التعليم العتيق، وفي مقدمتها العمل على تكوين علماء متمكنين قادرين على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المواطنين وبث الإسلام السمح في قلوبهم وعقولهم، ونشر الثقافة الإسلامية بينهم، وخدمة اللغة العربية وعلومها، والإسهام في سائر العلوم والمعارف الأخرى، مدافعين عن المقدسات الدينية والوطنية بكل ما أوتوا من بلاغة الخطاب، وفصاحة البيان، وقوة الحجة والبرهان.